الفصل الأول

التوحيد المسيحي

"اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد" (تثنية ٦: ٤)

"... الله واحد" (غلاطية ٣: ٢٠)

يوجد إله واحد. ليس سوى إله واحد فقط. هذه العقيدة تعد عقيدة مركزية في رسالة الكتاب المقدس، إذ أن كلّ من العهد القديم والعهد الجديد يعلمان ذلك بشكل واضح وحاسم. وعلى الرغم من بساطة هذه الرسالة والوضوح الذى تقدم به فى الكتاب المقدس، فإن الكثيرين ممن يؤمنون بوجود الله لم يتمكنوا من فهمها. حتى في المسيحية فإن هناك الكثيرين، ومن ضمنهم اللاهوتيين، لم يستطعوا استيعاب هذه الرسالة الجميلة والجوهرية. لذا فإن غايتنا هي دراسة هذه المشكلة، والتأكيد على العقيدة الكتابية عن وحدانية الله وشرحها.

تعريف التوحيد

الإيمان بإله واحد يسمى التوحيد "monos-theos"، والتي تتكون من كلمتين يونانيتين:

"monos" تعني وحيداً، أو فرداً أو واحداً، و"theos" وتعنى الله .

وأي شخص لا يقبل بوحدانية الإله يمكن تصنيفه واحد مما يلي:

الملحد ويعرف بمن ينكر وجود الله.

اللاأدري و يعرف بمن يؤكد على أن وجود الله أمر غير معروف وربما غير ممكن معرفته .

المؤمن بوحدة الوجود "pantheist" ويعرف بـ "من يساوي بين الله وبين الطبيعة أو قوى الكون".

المؤمن بالتعددية فى الإله أو تعددية الآلهة "polytheist" ويعرف بـ "من

يؤمن بوجود أكثر من إله واحد"، ومن أمثلة التعددية :

- "الثنائية Ditheism" وتعرف بـ "الإيمان بوجود إلهين" .

- "الثلاثية tritheism" و تعرف بـ "الإيمان بوجود ثلاثة آلهة".

التوحيد، الايمان بإله واحد متداخل (أو متواجد) بين كثير من المعتقدات الرئيسية فى العالم اليوم مثل اليهودية والمسيحية والإسلام .

وفى المسيحية نفسها نجد عدة أراء متباعدة بشأن طبيعة الله. أحد هذه الآراء، يدعى "الثالوثية trinitarianism"، حيث تؤكد على وجود ثلاثة أشخاص (أقانيم) ++ متميزين في الله – الله الآب، الله الابن، والله الروح القدس – ولكنه مع ذلك يظل إلهاً واحداً. (انظر الفصل الحادى عشر).

في معتقدات الثالوثية نفسها، يمكننا أن نميز بين اتجاهين متطرفين. فعلى الجانب الأول، يركز بعض المؤمنين بالثالوث على وحدة الله دون أن يكون لديهم فهم متكامل بشأن المقصود بوجود ثلاثة أشخاص (أقانيم) متمايزة في الله. وعلى الجانب الآخر، يركز آخرون من المؤمنين بالثالوث على ثالوثية الثالوث إلى درجة أنهم يؤمنون بوجود ثلاثة كائنات واعية بذاتها، ومنظورهم ثالوثي في جوهره.

وبالإضافة إلى الثالوثية، هناك عقيدة "الثنائي binitarianism" التي لا تعتبر الروح القدس شخصاً مستقلاً لكنها تؤكد على الإيمان بشخصين (أقنومين) في الله.

وقد أكد كثير من الموحدين (المؤمنون بالله الواحد) أن كلاً من الثالوثية والثنائية لا تنسجم مع الايمان بالله الواحد المُعلن فى الكتاب المقدس . ويشدد هؤلاء المؤمنون بالتوحيد على أن الله (اللاهوت) لا ينقسم ولا يُركب ولا يجتمع فيه أشخاص (أقانيم) كما أعلن الكتاب أنه واحد .

++ الرجاء توضيح معنى كلمة شخص بالإنجليزية (person) وما يقابلها من استخدام لكلمة أقنوم في اللغة العربية (المترجم)

هؤلاء الذين يؤمنون بالتوحيد يصنفون ضمن فئتين:

الفئة الأولى تشدد على وجود إله واحد، وفى نفس الوقت ينكرون الألوهية الكاملة ليسوع المسيح. وقد ظهر هذا الرأي في تاريخ الكنيسة المبكر على يد "الملكيين المتجولين"، مثل بولس الساموساطي، وكذلك "الأريوسيين"، بقيادة أريوس، وقد عملت هذه المجموعات على إنزال يسوع إلى مرتبة الإله المخلوق، أو الخاضع لله، أو الإله الأصغر، أو إله دميه.

الفئة الثانية من الموحدين تؤمن بإله واحد، وهذا الاله ظهر في المسيح. وهم يؤمنون أن ما ذكر فى الكتاب المقدس من ألفاظ وتعبيرات عن الآب والابن والروح القدس، تشير إلى ظهورات وعلاقات الله الواحد بالإنسان. وفى الفصل العاشر من هذا الكتاب تجد شرحاً لمعتقدات قادة الكنيسة المبكرة حول هذا الموضوع.

ونجد في القرن العشرين والواحد والعشرين أن الذين يؤمنون بوحدانية الله التي لا تتجزأ و لاتتركب والألوهية الكاملة ليسوع المسيح عادة ما يستخدمون تعبير "الوحدانية Oneness" ليصفوا عقيدتهم. وهم يستخدمون أيضاً مصطلحات مثل "الله الواحد" و"اسم يسوع" كصفات ليصنفوا أنفسهم، بينما المعارضون وغير العارفين يستخدمون أحياناً اللقب الإزدرائي أو التضليلي "يسوع وحده" و"الحدث الجديد". ويطلقون هذه الألقاب على الفئة الثانية من المؤمنين بالتوحيد (بالنسبة للمؤمنين بالثالوث، التعبير أو التسميه "يسوع وحده" يتضمن إنكاراً للآب والروح القدس. في حين أن المؤمنين بالوحدانية لا ينكرون الآب ولا الروح القدس، لكنهم بالأحرى يرون الآب والروح القدس باعتبارهما تعبيرين للإله الواحد: الاول للدلاله على لاهوته والثانى للدلاله على طبيعته، أما أسمه فهو الرب يسوع المسيح).

ملحوظة: اللفظ "يسوع وحده" هو تعبير كتابى وهو لا يشير من قريب أو من بعيد على إنكار الاب والروح القدس.

نجد أن الفئة الثانية من الموحدين يؤمنون بالاب والابن والروح القدس إلا أنهم يشددون على أن الاسم (للاب والابن

والروح القدس) هو اسم (الرب يسوع المسيح).

إيجازاً، لقد أنتجت المسيحية أربعة آراء أساسية بشأن الله:

١- الثالوثية.

٢- الثنائية.

٣- التوحيد مع إنكار الألوهية الكاملة ليسوع المسيح.

٤- التوحيد مع التأكيد على الألوهية الكاملة ليسوع المسيح، أو الوحدانية.

بعد أن فحصنا العقائد الإنسانية المتنوعة حول الله، دعنا نلقي نظرة على ما تقوله كلمة الله – الكتاب المقدس – بشأن هذه القضية.

العهد القديم يُعلّم بأنه لا يوجد سوى إله واحد

إن التعبير الكلاسيكي عن عقيدة وحدانية الله نجده في (تثنية٦:٤). "اسمع يا إسرائيل. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ". لقد صارت هذه الآية الكتابية هي أميز وأهم تصريح إيماني عند اليهود. وهم يسمونه "شيما" وهم كثيراً ما يقتبسونها باللغة الإنجليزية كما يلي "اسمع يا إسرائيل، الرب هو إلهنا، الرب هو واحد." (انظر أيضا ترجمة NIV). وتقليدياً، عادة ما يحاول اليهودي التقي أن يعلن اعترافه الإيمانى هذا قبيل موته.

في (تثنية٦:٥) تابع الله الإعلان الذي جاء به في الآية السابقة بوصية تستلزم الإيمان الكامل والمحبة المطلقة له باعتباره الإله الواحد والوحيد " فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك." علينا أن نلاحظ الأهمية التي يوليها الله لـ (تثنية٦:٤-٥). فهو يوصي بأن توضع هذه الآيات في القلب (الآية ٦)، وأن يتم تعليمها للأبناء طوال اليوم (الآية٧)، وأن تُربط على الأيدي والجباه (الآية ٨)، وتُكتب على قوائم وأبواب البيوت (الآية ٩).

يطيع اليهود الأرثوذكس هذه الوصايا حرفياً اليوم بأن يربطوا التفيلين tefillin (ما يشبه التميمة وهو عبارة عن صناديق صغيرة مربوطة بالجسد بواسطة شريط من الجلد) وهم يربطون التفيلين على ساعدهم الأيسر وعلى جباههم عندما يصلون، وبأن يضعوا مزوزاه mezuzzah على أبوابهم وبيوتهم. (المزوزاه هي وعاء على شكل

لفافة). بداخل كل من الوعائين يوجد آيات من الكتاب المقدس مكتوبة بخط اليد بحبر أسود بيد رجل تقي اجتاز طقوساً تطهرية خاصة. الآيات التي تستخدم من الكتاب المقدس عادة ما تكون هي (تثنية٦:٤-٩، ١١:١٨-٢١، خروج١٣:٨-١٠، ١٣:١٤-١٦).

ومن خلال زيارة لمدينة القدس (أورشليم)، حيث قمنا بتجميع المعلومات السابقة،(١) حاولنا شراء التفيلين. قال التاجر اليهودي الأرثوذكسي إنه لا يبيع "التفيلين" للمسيحيين لأنهم لا يؤمنون بهذه الآيات من النص المقدس كما إنهم لا يقدمون التكريم الملائم لها. ولكن عندما اقتبسنا من (تثنية٦:٤) وشرحنا له تأييدنا الكامل لها، أشرقت عيناه ببريق ووعد أن يبيع لنا على أساس أننا سوف نتعامل مع التفيلين باهتمام واحترام. إن اهتمامه يظهر التوقير الشديد والإيمان العميق لدى اليهود تجاه مبدأ وحدانية الله. كما أنها تكشف أيضاً أن السبب الرئيسي الذي يكمن وراء رفض اليهود للمسيحية عبر التاريخ هو التشويه الواضح للرسالة التوحيدية.

كذا فإن هناك العديد من الآيات الأخرى من العهد القديم تؤكد بحسم على الوحدانية الصارمة. إذ تبدأ الوصايا العشر بـ: "لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي." (خروج٢٠:٣، تثنية ٥: ٧).

لقد ركز الله على هذه الوصية بأن أعلن أنه إله غيور (خروج٢٠:٥). وفي (تثنية٣٢:٣٩) قال الله إنه ليس إله آخر معه. ليس مثل الرب ولا يوجد إله بجانبه (٢صموئيل٧:٢٢، ١أخ ١٧:٢٠). هو وحده الله (مزمور٨٦:١٠). كما يوجد الإعلانات الصارمة لله في إشعياء:

+ "... قبلي لم يصور إله وبعدي لا يكون. أنا أنا الرب وليس غيري مخلص." (إشعياء٤٣:١٠-١١).

+ "...أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري." (إشعياء ٤٤: ٦).

+ "...هل يوجد إله غيري. ولا صخرة. لا أعلم بها؟" (إشعياء ٤٤: ٨).

+ "...أنا الرب صانع كل شيء ناشر السموات وحدي باسط الأرض. من معي؟" (إشعياء ٤٤: ٢٤).

+ "... أنا الرب وليس آخر."

(إشعياء٤٥:٦).

+ "...أليس أنا الرب ولا إله آخر غيري؟ إله بار ومخلص. ليس سواي. التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر." (إشعياء٤٥:٢١-٢٢).

+ "اذكروا الأوليات منذ القديم لأني أنا الله وليس آخر..." (إشعياء٤٦:٩).

+ "...كرامتي لا أعطيها لآخر." (إشعياء ٤٨:١١)، وانظر أيضاً (إشعياء٤٢:٨).

+ "يا رب الجنود إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض، أنت صنعت السموات والأرض." (إشعياء ٣٧: ١٦).

+ لا يوجد سوى إله واحد، هو خالق البشر وأبوهم (ملاخي٢:١٠). وفي فترة الملك الألفي لن يقوم سوى رب واحد له اسم واحد (زكريا١٤:٩).

بإيجاز، يتحدث العهد القديم عن الله باعتباره إلهاً واحداً. كثيراً ما يدعوه الكتاب المقدس الله القدوس (مزمور٧١:٢٢، ٧٨:٤١، إشعياء١:٤، ٥:١٩، ٥:٢٤)، لكن لم يحدث أبداً أن ورد فى الكتاب المقدس "القدوسان، أو القدوسون الثلاثة" أو "القدوسون الكثيرون".

هناك ملاحظة شائعة بين بعض المؤمنين بالثالوث (التثليث) حول عقيدة العهد القديم التي تتعلق بوحدانية الله، إذ هم يقولون إن الله أراد فقط أن يبرز وحدانيته كنقيض للآلهة الوثنية، ولكنه مع ذلك مازال يتواجد باعتباره تعددي (plurality). غير أنه، **إذا كان هذا التخمين صحيحاً، لماذا لم يجعل الله هذا الأمر واضحاً؟** ولماذا لم يفهم اليهود اللاهوت على أنه لاهوت "أقانيم أو أشخاص" بل على النقيض من ذلك فهموا لاهوتاً توحيدياً ؟ دعنا ننظر لذلك من منظور الله. لنفرض أن الله أراد فعلاً أن يستبعد أي اعتقاد بتعدديته. فكيف كان سيفعل ذلك باستخدام التعبيرات المتواجدة وقتها؟ ما هي الكلمات القوية التي كان باستطاعته استخدامها ليجعل رسالته تنفذ إلى شعبه؟ عندما نفكر بشأن هذا سوف ندرك أنه استخدم أقوى الألفاظ المتاحة لكي يصف وحدانيته. وفي الآيات السابقة نلاحظ استخدام الكلمات والعبارات مثل "لا، ليس آخر، لا إله غيري، لا يكون إله بعدي"

و"وحده". بالتأكيد لم يكن هناك وسيلة لجعل الأمر أكثر وضوحاً أنه لا يوجد أي تعددية بأي شكل في الله. باختصار، لقد أكد العهد القديم بشكل مطلق أن الله – عددياً – هو إله واحد فقط.

العهد الجديد يعلّم أنه لا يوجد سوى إله واحد

لقد شدد الرب يسوع في تعاليمه على تثنية٦:٤، إذ دعاها أول كل الوصايا (مرقس١٢:٢٩-٣٠). كما بُنى العهد الجديد على تعاليم العهد القديم بشأن وحدانية الله وكرر بوضوح هذه الرسالة مرات عديدة.

+ "لأن الله واحد هو الذي سيبرر..." (رومية ٣: ٣٠).

+ "...ليس إله آخر إلا واحداً" (١كورنثوس ٨: ٤).

+ "ولكن لنا إله واحد الآب..." (١كورنثوس ٨: ٦).

+ "...ولكن الله واحد" (غلاطية٣:٢٠).

+ "إله وآب واحد للكل..." (أفسس٤:٦).

+ "لأنه يوجد إله واحد..." (١تيموثاوس٢:٥).

+ "أنت تؤمن أن الله واحد، حسناً تفعل، والشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يعقوب٢:١٩).

+ ومن جديد يدعو الكتاب المقدس الله "...القدوس..." (١يوحنا٢:٢٠). كما يوجد عرش واح د في السماء ويجلس عليه جالس واحد (رؤيا ٤: ٢).

في الفصول التالية سوف نتبحر بعمق أكثر في وحدانية الله فى العهد الجديد، غير أن الآيات الكتابية السابقة كافية لتثبت بوضوح أن العهد الجديد يعلم بوحدانية الله.

الخلاصة

كما رأينا، فإن الكتاب المقدس بمجمله يعلم تعاليم الوحدانية. كما عرف شعب الله دائماً رسالة التوحيد. لقد اختار الله إبراهيم بسبب رغبته أن يهجر آلهة أبيه وشعبه وأن يعبد الإله الحقيقي وحده (تكوين١٢:١-٨). كذلك فقد عاقب الله شعب إسرائيل في كل مرة شرع فيها في عبادة آلهة أخرى، كذا نجد أن عبادة آلهة متعددة كان أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت الله في النهاية يلقي بهم في السبي (أعمال٧:٤٣). وقد جاء المخلص للعالم من خلال الأمة الأسرائيلية ومن خلال الديانة (اليهودية) التي فيها تطهر الشعب أخيراً من تعددية الآلهة، وساد عليهم الإيمان بالتوحيد.

واليوم، ما يزال الله يطالبنا بأن نقدم له عبادة الله الواحد إننا في الكنيسة ورثة إبراهيم بالإيمان، وهذا الوضع الممجد يلزمنا بأن يكون لنا نفس الإيمان التوحيدي في إله إبراهيم (رومية٤:١٣-١٧). وكمسيحيين في العالم علينا ألا نتوقف أبداً عن إعلان وإعلاء رسالة أنه لا يوجد سوى إله واحد هو الإله الحي الحقيقى إلى الأبد.

١- نوفمبر، ١٩٨٠، القدس. انظر أيضاً:
Sir Norman Anderson, ed., The World's Religions, 4th ed. (Grand Rapids: Eerdmans, 1975), pp. 73, 77.